(2)

جامعة بغداد

كلية التربية للعلوم الانسانية_ ابن رشد

قسم_ علوم القران والتربية الاسلامية

اطلب النسخة من
مكتبة التربية
للاستنساخ
بإدارة_ حسين الحسيني

محاضرات مناهج المفسرين

للمرحلة الرابعة/ الدراسة الصباحية

المحاضرة (٢)

أستاذ المادة

[redacted]

محاور المحاضرة الثانية

معنى التفسير بالمأثور ومصادره

اولاً: تعريف التفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور والتفسير النقلي:

وهو اسم مفعول بمعنى المنقول، والاثر: الخبر المروي والسنة الباقية، والماثور: الحديث المروي، وما ورث الخلف عن السلف. يقوم على الرواية والنقل هذا في اللغة والاصطلاح.

اما في موضوعنا يشمل ما جاء في القران نفسه من البيان والتفصيل لبعض اياته اولاً، وما نقل عن المعصوم الرسول صلى الله عليه واله او الائمة من عترته الطيبين ، وما نقل عن الصحابة الاخيار، وما نقل عن التابعين باحسان من كل بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه.

ثانياً: مصادر التفسير بالمأثور، فهي:

١. تفسير القران الكريم بالقران فقد وردت فيه ايات مجملة ثم فصلت في موضع اخر كما نزلت مبهمة ففسرت في موضع ثان، وما اطلق في موضع قيد في اخر وكثير من الامثلة في القران الكريم على ذلك.

٢. ما صح من الاحاديث المرفوعة الى الرسول محمد صلى الله عليه واله واهل بيته الطاهرين، وعدم جواز ايراد احاديث موضوعه او ضعيفة وتفسير القران بها واهمية تخريج الاحاديث والحكم عليه.

٣. ما صح عن الصحابة من اقوال مأثورة في التفسير، والعودة لتفاسيرهم مطلوبة من المفسر.

(٢)

٤. ما صح من اقوال التابعين بالتفسير تلاميذ ابن عباس وابن مسعود وابي بن كعب ومن اشهرهم: مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة.

٥. القراءات الشاذة لكونها قراءات منسوبة لقراء من التابعين او اتباع التابعين هي تندرج ضمن مفهوم التفسير بالماثور.

٦. القراءات التفسيرية: وهي ما يضيفه بعض الصحابة من بعض الكلمات تفسيرا منهم لبعض الآيات، وان كانت تندرج تحت تفسير الصحابي.

ثالثاً: اهم من التزم بالاثر في في تفسير القران الكريم:

١. **تفسير مجاهد/ مؤلفه ابو حجاج مجاهد المكي المخزومي.**

٢. **جامع البيان عن تأويل اي القران/ مؤلفه جعفر بن جرير الطبري.**

٣. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور/ مؤلفه جلال الدين السيوطي.**

٤. **تفسير البرهان/ للسيد هاشم البحراني.**

٥. **نور الثقلين/ مؤلفه عبد علي بن جمعة الحويزي.**

(٢)

المبحث الأول

مفهوم التفسير بالمأثور ومصادره

للتفسيرِ بالمأثورِ اسمان: التفسيرُ بالمأثور. والتفسيرُ النقلي.

ويُذكَرُ التفسيرُ بالمأثورِ في مقابلِ التفسير بالرأي. ويُذكَرُ التفسيرُ النقليُّ في مقابلِ التفسير الفعلي: [illegible]

والمأثورُ اسمُ مفعول بمعنى المنقول.

ورد في المعجمِ الوسيط: «أَثَرَ، يَأْثُرُ، أَثْراً: تَبِعَ أَثَرَهُ. وأَثَرَ الحديثَ: نَقَلَه ورواه عن غيره.

والأَثَرُ: الخبرُ المرويُّ والسنَّةُ الباقية.

والمأثور: الحديثُ المروي، وما وَرِثَ الخَلفُ عن السَّلف»[1].

فالمأثور: يقومُ على الرواية والنقل. ويطلقُ على ما ورثهُ الخلفُ عن السلف من علمٍ وحديثٍ وروايات وغير ذلك، وغالبُ إطلاقِه على الحديثِ والروايات.

هذا في اللغة والاصطلاح.

أمَّا في موضوعنا: (التفسير بالمأثور) فقد قالَ عنه الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله: «يشملُ التفسيرُ بالمأثور: ما جاءَ في القرآنِ نفسِه من البيانِ والتفصيلِ لبعضِ آياتِه، وما نُقِلَ عن الرسول ﷺ، وما نُقِلَ عن الصحابةِ رضوان

---

(١) المعجم الوسيط، ص٥ ـ ٦.

(٤)

الله عليهم، وما نُقِل عن التابعين، مِنْ كلِّ ما هو بيانٌ وتوضيحٌ لمرادِ الله من نصوص كتابه»[١].

وقد أدرجَ الذهبيُّ تفسيرَ القرآن بالقرآن ضمنَ التفسيرِ بالمأثور، وقد سبقَ أنْ سجَّلنا تحفُّظنا على ذلك ورَفْضَنا له، لأنَّ القرآنَ كلامُ الله، وليس كلامَ بشر، وليس خاضعاً لمقاييسِ نقلِ الروايات وتمحيصِ الأقوال والأخبار، فهو ثابتٌ يقيناً لا يحتاجُ إلى تمحيصٍ وتدقيقٍ وتخريج! أمَّا كلامُ البشرِ فيحتاجُ إلى تحقيقٍ وتخريجٍ وتمحيص، سواء كان كلامَ صحابة أو تابعين، أو حتى حديثَ رسول الله ﷺ!

إنَّ التفسيرَ بالمأثور ـ الذي يتحققُ فيه معنى المأثور في اللغة والاصطلاح ـ هو ما رويَ عن الرسول ﷺ، أو الصحابة، أو التابعين، من رواياتٍ نقليةٍ مرويةٍ في تفسير القرآن!

واسمُه الآخرُ يؤكِّدُ هذا المفهوم، وهو التفسيرُ النقلي، الذي يقومُ على نقل الأقوالِ والرواياتِ عن السلفِ في تفسير القرآن.

وردَ في المعجم الوسيط: «نَقَلَ، يَنْقُلُ، نَقْلاً. ونَقَلَ الكلامَ أو الخبرَ: بلَّغَهُ عن صاحبه.

والمنقول: ما عُلِمَ من طريقِ الروايةِ أو السماع، كعلمِ اللغةِ أو الحديث ونحوهما، وهو يقابلُ المعقول»[٢].

وقال الإمامُ السيوطي في الإتقان: «قال الزركشي: الحقُّ أنَّ علْمَ التفسيرِ منه ما يتوقَّفُ على النقلِ: كسببِ النزول، والنسخ، وتعيينِ المبهم، وتبيينِ المجمل، ومنه ما لا يتوقَّف، ويكفي في تحصيله الثقةُ على الوجه المعتبر.

واعلمْ أنَّ القرآنَ قسمان: قسمٌ وردَ تفسيرُه بالنقل، وقسم لم يَرِدْ.

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ١٥٢.

(٢) المعجم الوسيط، ص٩٤٩.

(٦)
(٥)

والأول: إمّا أن يَرِدَ عن النبيّ ﷺ، أو الصحابة، أو رؤوس التابعين، فالأولُ يُبْحَثُ فيه عن صحةِ السند. والثاني يُنظَرُ في تفسيرِ الصحابي: فإنْ فسَّرَهُ من حيثُ اللغة فهم أهلُ اللسان، ولاشكَّ في اعتمادِهم، أو بما شاهدَه من الأسباب والقرائن، فلاشكَّ فيه، وإنْ تعارضَتْ أقوالُ جماعةٍ من الصحابة، فإنْ أمكنَ الجمعُ فذاك، وإنْ تعذّرَ قُدِّمَ ابنُ عباس...»[1].

وبما أنَّ التفسيرَ بالمأثور ـ أو التفسيرُ النقلي ـ هو ما نُقِلَ بنقلٍ صحيح عن رسول الله ﷺ أو الصحابةِ أو التابعين، فإنه ضروريٌّ لحسنِ فهمِ القرآن وتفسيره، ولابُدَّ لكلِّ مفسرٍ يريدُ أنْ يكونَ تفسيرُه صواباً مقبولاً مِنْ أنْ ينطلقَ من التفسيرِ بالمأثور، وأنْ يلتزمَ بمراحلِه وخطواته، كما بيَّنّا في (أحسن طرق التفسير).

يعتمد التفسير النقليّ أو التفسير بالمأثور، على ما جاء في القرآن نفسه من البيان و التفصيل أوّلاً، ثمّ على ما نُقل عن المعصوم: النبيّ ﷺ أو الأئمّة من عترته الطيّبين عليهم السلام، و بعده على المأثور من الصحابة الأخيار و التابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم، ممّا جاء بياناً و توضيحاً لجوانب أُبهمت من القرآن.

و كان إدراج ما روي عن التابعين في التفسير بالمأثور، من جهة أنّ أقدم كتب التفسير بالمأثور كتفسير ابن جرير و غيره، اعتمد على أقوال التابعين و آرائهم في التفسير، على نحو اعتماده على المأثور من المعصوم. فنراهم قد أردفوا ما نُقل عن التابعين إلى جنب المنقول عن الصحابة، بل إلى جنب أحاديث الرسول ﷺ و سائر الأئمّة عليهم السلام.

و لنتكلّم عن أنحاء التفسير بالمأثور، و مقدار صحّته، و مدى اعتباره، في عالم التفسير:

١. تفسير القرآن بالقرآن

لا شكّ أنّ أتقن مصدر لتبيين القرآن هو القرآن نفسه؛ لأنّه ينطق بعضه ببعض، و يشهد

بعضه على بعض[١] ـ كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ حيث ما جاء منه مبهماً في موضع منه، قد جاء مفصّلاً و مبيّناً في موضع آخر، بل و في القرآن تبيان لكلّ شيء جاء مبهماً في الشريعة، فلأن يكون تبياناً لنفسه أولى. و من ذلك جاء قولهم: «القرآن يفسّر بعضه بعضاً» كلام معروف.

و تفسير القرآن بالقرآن على نمطين: منه ما أُبهم في موضع و بُيّن في موضع آخر ـ فكان أحدهما متناسباً مع الآخر تناسباً معنويّاً أو لفظيّاً ـ كما في قوله تعالى: ﴿حٰمٓ وَالكِتابِ المُبينِ إنّا أنزَلناهُ في لَيلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾[٢] و قد جاء تبيين هذه الليلة المباركة بليلة القدر في سورة القدر: ﴿إنّا أنزَلناهُ في لَيلَةِ القَدرِ﴾[٣] و قد بيّن في سورة البقرة أنّها واقعة في شهر رمضان: ﴿شَهرُ رَمَضانَ الَّذي أُنزِلَ فيهِ القُرآنُ﴾[٤].

فقد تبيّن من مجموع ذلك: أنّ القرآن نزل في ليلة مباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان.

و من ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا استَجيبوا لِلّهِ وَ لِلرَّسولِ إِذا دَعاكُم لِما يُحييكُم وَ اعلَموا أَنَّ اللهَ يَحولُ بَينَ المَرءِ وَ قَلبِهِ﴾[٥] ما هذه الحيلولة و كيف هي، و هو تهديد لاذع بأولئك الزائفين المتمرّدين عن الشريعة و الدين.

و هذا الإبهام يرتفع عند مراجعة قوله تعالى: ﴿وَ لا تَكونوا كَالَّذينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسـاهُم أَنفُسَهُم أُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقونَ﴾[٦]. فعرفنا أنّها نسيان الذات، فالذي يجعل من شريعة الله وراء ظهره، إنّما حرّم نفسه و نسي حظّه، فقد تاه في غياهب ضلالة الجهل و العمى.

و هكذا قوله تعالى: ﴿أَوَلَم يَرَوا أَنّا نَأتِي الأَرضَ نَنقُصُها مِن أَطرافِها وَ اللهُ يَحكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكمِهِ وَ هُوَ سَريعُ الحِسابِ﴾[٧] ما هو المقصود من «الأرض» هنا في هذه الآية، و كيف يقع

---

١. نهج البلاغة، خ ١٣٣، ص ١٩٢ (صبحي صالح).
٢. الدخان (٤٤): ١ـ٣.
٣. القدر (٩٧): ١.
٤. البقرة (٢): ١٨٥.
٥. الأنفال (٨): ٢٤.
٦. الحشر (٥٩): ١٩.
٧. الرعد (١٣): ٤١.

نقصانها؟

أمّا الأرض فالمقصود منها هو العُمران منها، و ليس المراد هي الكرة الأرضيّة. و يشهد لذلك قوله تعالى بشأن المحاربين المفسدين في الأرض: ﴿إِنَّما جَزاءُ الَّذينَ يُحارِبونَ اللهَ وَرَسولَهُ وَ يَسعَونَ فِي الأَرضِ فَساداً أَن يُقَتَّلوا أَو يُصَلَّبوا أَو تُقَطَّعَ أَيديهِم وَ أَرجُلُهُم مِن خِلافٍ أَو يُنفَوا مِنَ الأَرضِ ذٰلِكَ لَهُم خِزيٌ فِي الدُّنيا وَ لَهُم فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظيمٌ﴾[1]. فإنّ النفي من الأرض، يراد به الإبعاد عن العُمران ليظلّ حيراناً بين البراري و القفار.

أمّا كيف يقع النقصان؟ فقد فسّره الإمام أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام و كذا ولده الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: بفقد العلماء، و أنّ عمارة الأرض سوف تزول و تندثر عند ذهاب علمائها و خيار أهلها، و هكذا ورد تفسير الآية بذلك عن ابن عبّاس[2].

* * *

و من هذا النمط أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنّا عَرَضنَا الأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الأَرضِ وَ الجِبالِ فَأَبَينَ أَن يَحمِلنَها وَ أَشفَقنَ مِنها وَ حَمَلَهَا الإِنسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلوماً جَهولاً﴾[3].

ما هذه الأمانة التي كان الإنسان صالحاً لحملها، دون سائر المخلوق؟

فجاءت آية أخرى تفسّرها بالخلافة: ﴿وَ إِذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ فِي الأَرضِ خَليفَةً﴾[4].

ثمّ ما هذه الخلافة التي منحت للإنسان، و حُظي بها هذا المخلوق دون سائر الخلق؟

كانت آية ثالثة تفسّر الخلافة بقدرة الإبداع و إمكان التصرّف في ساحة الوجود: ﴿أَلَم تَرَوا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الأَرضِ﴾[5] ﴿وَ سَخَّرَ لَكُم ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الأَرضِ جَميعاً﴾[6] فقدرة الإنسان التسخيريّة و إمكان تصرّفه في عالم الوجود، علوّه وسُفله،

---

١. المائدة (٥): ٣٣.

٢. راجع: البرهان في تفسير القرآن للبحراني، ج ٢، ص ٣٠١-٣٠٢.

٣. الأحزاب (٣٣): ٧٢.

٤. البقرة (٢): ٣٠.

٥. لقمان (٣١): ٢٠.

٦. الجاثية (٤٥): ١٣.

هي قدرته الإبداعيّة التي تمثّل قدرة الله الحاكمة على عالم الوجود بذاته المقدّسة.

فجاءت كلّ آية تفسّر أختها، و القرآن يفسّر بعضه بعضاً.

و النمط الآخر من تفسير القرآن بالقرآن، كان ما جاء فيه البيان غير مرتبط ظاهراً لا معنويّاً و لا لفظيّاً مع موضع الإبهام من الآية الأخرى، سوى إمكان الاستشهاد بها لرفع ذلك الإبهام.

مثال ذلك، آية السرقة؛ حيث أبهم فيها موضع قطع اليد، فقد بيّن الإمام أبو جعفر محمّد ابن عليّ الجواد عليه السلام أنّه من موضع الأشاجع (مفصل أصول الأصابع) مستشهداً لذلك بقوله تعالى: ﴿وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلّهِ فَلا تَدعوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾[1] حيث إنّ السارق إنّما جنى على نفسه؛ فتعود عقوبته إلى ما يمسّه من الأعضاء، و بما أنّ مواضع السجود لله تعالى، لا يشركه فيها أحد، و راحة الكفّ من مواضع السجود لله، فلا موضع للقطع فيها[2].

و مثال آخر قوله تعالى ـ في سورة الحمد ـ: ﴿اِهدِنَا الصِّراطَ الْمُستَقيمَ﴾. ما هذا الصراط الذي يبتهل الإنسان ليله و نهاره إلى الله لأن يهديه إليه.. بل و يطلبه النبيّ و الأئمّة و سائر الناس على سواء..

و قد فسّر بتفاسير أغلبها لا يلتئم و هذا الشمول في الطلب الحثيث نحوه..

و من ثمّ فتفسيره ـ بما يتّفق و هذا الشمول ـ هو طلب الاهتداء إلى الحقّ في جميع شؤون الحياة، إن ماديّة أو معنويّة. و ذلك أنّ الإنسان في مزاولات حياته اليوميّة قد يصطدم ـ و ربّما كان أكثريّاً ـ مع متشابكات الأمور، فلا يدري المخلص و يظلّ حائراً لا يهتدي إلى سبيل النجاح..

غير أنّه تعالى ـ لطفاً بعباده المؤمنين ـ سوف يخرجهم من الظلمات إلى النور و يهديهم إلى منجى الحياة و سعادة المآل.. ﴿اَللهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ﴾[3].. نعم، من شملته عناية ربّانيّة، و غطّته ولاية الله الكبرى، فإنّه سوف لا يبقى في ظلمات

---

١. الجنّ (٧٢): ١٨.
٢. راجع: تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠.
٣. البقرة (٢): ٢٥٧.

الحياة، ما دامت العناية الإلهيّة ترافقه عبر مسيرة الحياة.. فجاءت آية تنطق آية أخرى و إن كانت من غير لفظها.

* * *

و جميع الآيات التي بظاهرها التشبيه، يفسّرها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] حيث إنّها تنفي التشبيه على الإطلاق، فلا بدّ هناك في آيات التشبيه من تأويل صحيح، يوضّحه العقل السليم.

٢. تفسير القرآن بالسنّة

لا شكّ أنّ مجموعة أحكام الشريعة و فروع مسائلها، جاءت تفاصيل عمّا أُبهم في القرآن و أُجمل من عموم و إطلاق. و هكذا ما ورد في لسان المعصوم و فعله و تقريره، بياناً لمختلف أبعاد الشريعة، هي بيانات عمّا جاء في القرآن من رؤوس الأحكام و الأخلاق و الآداب.

قال الله تعالى مخاطباً نبيّه الكريم: ﴿وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. فقد كانت وظيفة النبيّ الأساسيّة هي بيان و تبيين ما جاء في الذكر الحكيم، و كلّ ما صدر عنه في بيان أبعاد الشريعة، فإنّما هو تفسير للقرآن الكريم.

هذا فضلاً عمّا سُئل عن معاني القرآن، حيثما أبهم على الصحابة، فبيّنه لهم في شرح و تبيين، على ما أسلفنا في الكلام عن التفسير المأثور عن النبيّ ﷺ.

و هكذا ما ورد عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام تفسيراً لما أُبهم أو تفصيلاً لما أُجمل في القرآن الكريم. و قد تكلّمنا عن دور أهل البيت في التفسير في فصل خاصّ.

٣. تفسير القرآن بقول الصحابيّ

و نحن قد تكلّمنا عن قيمة تفسير الصحابيّ الذي تربّى في أحضان الرسالة، و قد أخذ

---

١. الشورى (٤٢): ١١.
٢. النحل (١٦): ٤٤.

العلم مباشرة من منهله العذب السائغ، و كان ممّن تفقّه على يده الكريمة، و تحت هديه و إرشاده المستقيم ﷺ فلابدّ أنّهم ـ أي صحابته الأخيار ـ أقرب الناس فهماً إلى معاني القرآن الحكيمة، و أهداهم إلى معالمه الرشيدة.

هذا ابن مسعود يقول: «كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات، لم يجاوزهنّ حتّى يعلم معانيهنّ و العمل بهنّ»[1].

و هذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «و إنّما هو تعلُّم من ذي علم... عِلم علّمه اللهُ نبيّه فعلَّمَنيه و دعا لي بأن يعيه صدري و تضطمّ عليه جوانحي»[2].

إلى غير ذلك من تصريحات تنبؤك عن مدى حرصه ﷺ على تعليم صحابته و تثقيفهم الثقافة الإسلاميّة القرآنيّة الكاملة.

٤. تفسير القرآن بقول التابعيّ

لا شكّ أنّ التابعين هم أمسّ جانباً بأحاديث الرسول ﷺ و العلماء من صحابته الأخيار، و كانوا أقرب فهماً لمعاني القرآن الكريم؛ حيث قُربهم بأصول معاني اللغة الفُصحى غير المتحوّرة، الباقية على صفوها الأوّل، كما كانت الحوادث و الوقائع المقترنة بنزول الآيات، و الموجبة أحياناً للنزول، كانت تلك الحوادث و الأسباب و الموجبات في متناولهم القريب، كما كان باب الفهم و السؤال لديهم مفتوحاً، و بالتالي كان باب العلم بأسباب النزول و فهم معاني القرآن و السؤال عن مواضع الإبهام فيه منفتحاً لهم بمصراعين، الأمر الذي لم يحظ بها من تأخّر من أرباب التفسير.

هذا، و مع ذلك إنّما نعتبر قول التابعيّ شاهداً و مؤيّداً، و ليس حجّة على الإطلاق، كما كان حديث المعصوم عليه السلام حجّة برأسه، أو قول الصحابيّ بالنسبة و في الغالب الأكثر حجّة معتبرة، فإنّما يقع قول التابعيّ في الدرجة الثالثة من الاعتبار، و ليس على إطلاقه.

* * *

١. تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧ و ٣٠.
٢. نهج البلاغة، خ ١٢٨، ص ١٨٦ (صبحي صالح).

(١٢)

أما مصادرُ التفسير بالمأثور فهي:

١ ـ ما صحَّ من الأحاديثِ المرفوعةِ إلى رسول الله ﷺ: وقد وقَفْنا فيما سبقَ على أهميةِ السنّة بالنسبة لتفسير القرآن، وعلى صُوَرِ بيانِها للقرآن، وعلى تفسيرِ رسول الله ﷺ للقرآن، فلا نُعيدُه هنا.

ونُذَكِّرُ هنا بأهميةِ اعتمادِ ما صحَّ من الأحاديثِ المرفوعة، وعدمِ جوازِ إيرادِ أحاديث موضوعة أو ضعيفة وتفسيرِ القرآنِ بها، وأهميةِ تخريجِ الحديث والحكمِ عليه، والعودة في هذا إلى أصحاب الشأن.

٢ ـ ما صحَّ عن الصحابةِ من أقوالٍ مأثورة في التفسير: والعودةُ لتفاسيرِ الصحابةِ مطلوبةٌ من المفسر، لأنهم أعلمُ الناسِ بمعاني كتاب الله، فتفاسيرُهم تأتي في المرتبةِ الثانية بعد تفسير رسول الله ﷺ.

قال عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه متحدِّثاً بنعمةِ الله عليه في فهم القرآن: «سَلوني، فوالذي لاإلٰهَ غيره ما نزلتْ آيةٌ من كتابِ الله تعالى إلاَّ وأنا أعلمُ فيمَ

---

(١) الإتقان للسيوطي: ٢/١٢١٦ ـ ١٢١٧.

(١٢)

نـزلت، وأينَ نزلت، ولـو أعلمُ مكانَ أحدٍ أعلمُ بكتـابِ الله منّي تَنالُه المطايـا لأتيتُه»[١].

وقال أبو عبد الرحمن السلّمي: حدَّثَنا الذين كانوا يُقْرِؤوننا القرآن، كعثمانَ ابن عفان وعبدِ الله بنِ مسعود، أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عشْرَ آياتٍ لم يُجاوزوها حتى يتعلَّموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلَّمْنا القرآنَ والعلمَ والعملَ معاً»[٢].

وخيرُ ما يشهدُ لعلمِ الصحابةِ في التفسير وتفاوتِهم في ذلك قولُ التابعيِّ مسـروقِ بن الأجـدع رضي الله عنه: لقد جالسْـتُ أصحابَ رسـول الله ﷺ، فوجدتُهم كالإخاذ [الإخاذ: هو الغدير أو النقرة فيه الماء] فالإخاذُ يَروي الرجل، والإخاذُ يروي الرجلين، والإخاذُ يروي العشرة، والإخاذُ يروي المئة، والإخاذُ لو نزلَ به أهل الأرض لأصدرهم. ووجدْتُ عبدَ اللهِ بن مسعود من ذلك الإخاذ»[٣].

ونؤكِّدُ على أنَّ أقوالَ الصحابة المأثورة في التفسير لا تُؤخَذُ إلاَّ إذا ثبتتْ صحتُها، ولابدَّ أنْ تُرَدَّ إن كانت ضعيفة.

٣ ـ **ما صحَّ من أقوالِ التابعين**: لأنَّ التابعينَ هم تلاميذُ الصحابة، وهم أفهمُ الناسِ بالقرآن بعد الصحابة.

ومن أعلمِ التابعين بالتفسيرِ تلاميذُ ابن عبـاس، وتـلاميذُ ابن مسـعود، وتلاميذ أُبيّ بن كعب، رضي الله عنهم.

ومن أشهر هؤلاء مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة.

قـال مجاهد: عرضْتُ المصحفَ على ابن عبـاس ثلاث عرضات، من فاتحتِه إلى خاتمته، أُوقفُه عند كلِّ آيةٍ منها، وأسألُه عنها!

---

(١) تهذيب تفسير الطبري: ١/ ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٤٣.

(١٤)

وقال ابنُ أبي مليكة: رأيتُ مجاهداً يسألُ ابن عباس عن تفسير القرآن، ومَعَهُ ألواحُه، فيقول له ابنُ عباس: اكتب. حتى سألَهُ عن التفسير كلّه!

وقال سفيان الثوري: إذا جاءكَ التفسيرُ عن مجاهد فَحَسْبُكَ به![1].

٤ ـ القراءاتُ الشاذّة: نرى أنَّ القراءاتِ الشاذّةَ من مصادرِ التفسيرِ بالمأثور؛ لأنّها قراءاتٌ مأثورةٌ منسوبةٌ لقرّاء من التابعين أو أتباع التابعين، فهي تندرجُ ضمنَ مفهومِ التفسيرِ بالمأثور!

إننا نعلمُ أنَّ القراءاتِ نوعان:

قراءات صحيحة: وهي عشرُ قراءات، وهي قرآنٌ بإجماعِ العلماء، وقد سبقَ أنْ تحدَّثْنا عن هذه القراءاتِ العشرِ الصحيحة، ووجوب تفسيرِ القرآنِ بها، عند حديثِنا عن تفسير القرآن بالقرآن.

قراءات شاذة: وهي أربعُ قراءات، لأربعةٍ من القرّاء، وهم:

١ ـ ابن مُحَيْصِن: محمد بن عبد الرحمن السَّهْمي المكي، كان مقرئاً لأهل مكة، وقد توفي سنة ١٢٣ هـ.

٢ ـ الأعمش: سليمانُ بن مهران الكوفي، كان مقرِئاً لأهل الكوفة، وقد توفي سنة ١٤٨ هـ.

٣ ـ الحسن بن يسار البصري، إمامُ أهلِ البصرة، الإمامُ التابعي المعروف، وقد توفي سنة ١١٠ هـ.

٤ ـ اليزيدي: يحيى بن المبارك العدوي البصري، كان من أئمةِ القرّاءِ بالبصرة، وقد توفي سنة ٢٠٢ هـ[2].

وهذه القراءاتُ شاذّةٌ لأنه اختلَّ بها شرطٌ أو أكثرُ من الشروطِ الثلاثةِ لقبولِ

---

(١) تهذيب تفسير الطبري: ١/ ٤٦.

(٢) مقدمة كتاب (الميسّر في القراءات الأربعة عشر): ش.

(١٥)

القراءةِ وإثباتِ أنها قرآن.

والشروطُ هي: صحةُ السند، وموافقةُ اللغةِ العربية ولو بوجْه، وموافقةُ رسمِ المصحفِ العثماني ولو احتمالاً.

فإذا اختلَّ بها شرطٌ أو أكثرُ من هذه الشروط كانت القراءةُ شاذة.

والقراءاتُ الأربعُ الشاذّة ليست قرآناً، لكنها تساعدُ على فهمِ الآية وتفسيرِها وتوضيحِ معناها، فهي ـ من هذا الجانب ـ من مصادرِ التفسير بالمأثور!

ولمعرفةِ القراءات الشاذة نُحيلُ على كتاب (الميسر في القراءات الأربعة عشر) لمحمد فهد الخاروف، ولمعرفةِ توجيهِ القراءات الشاذة نُحيلُ على كتاب (القراءات الشاذة وتوجيهها) للشيخ عبد الفتاح القاضي، وهو ملحقٌ بكتابه (البدور الزاهرة في القراءات المتواترة).

قال الشيخُ عبد الفتاح القاضي: «وإذ قد علمتَ أنَّ القراءةَ الشاذةَ لاتجوزُ القراءةُ بها مطلقاً، فاعلمْ أنه يجوزُ تعلُّمُها وتعليمها، وتدوينُها في الكتب، وبيانُ وجْهِها من حيثُ اللغةُ والإعراب والمعنى، واستنباطُ الأحكامِ الشرعية منها»[1].

من الأمثلةِ على القراءات الشاذة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤].

أجمعَ القراءُ العشرةُ على قراءة «راعِنا».

وتوجيهُ هذه القراءةِ أنَّ الكلمةَ فعلُ أمر، مبنيٌّ على حذفِ حرفِ العلّة، لأنَّ الفعلَ معتلٌّ بالألفِ المقصورة. تقول: راعى، يُراعي، راعِ.

«راعِ»: فعلُ أمرٍ مبنيٌّ على حذف حرف العلّة، والفاعلُ ضميرٌ مستتر تقديره أنت، و«نا» ضميرٌ متصلٌ في محل نصب مفعول به.

ومعنى «راعِنا»: أمْهِلنا وانْظِرْنا ولا تتعجلْ علينا.

---

(١) القراءات الشاذة وتوجيهها لعبد الفتاح القاضي، ص١٠.

(١٦)

وقرأ ابنُ محيصن والحسن البصري: «راعِناً» بتنوين الكلمة.

وتوجيهُ هذه القراءة الشاذة: أنَّ «راعِناً» مصدرٌ بمعنى الرعونة. تقول رَعَنَ، يَرْعُنُ، رَعْناً ورُعونةً وراعِناً، كأن أرعن. والرعونةُ هي الخفة والطيش.

و«راعناً» منصوبٌ على أنه صفةٌ لمصدرٍ محذوف. تقديره: لا تقولوا قولاً راعناً. أي: لا تقولوا قولاً سيئاً ذا رعونةٍ وقبحٍ.

ومعنى هذه القراءة: يَنْهى اللهُ المسلمينَ عن القولِ الأرعنِ القبيح، ويطلبُ منهم أنْ يقولوا القولَ الطيبَ اللطيف.

وهذا المعنى صحيح، وهذا التوجيهُ مقبولٌ، لكنَّ هذه القراءةَ الشاذةَ ليست قرآناً![1].

ومثال ذلك أيضاً: قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

أجمعَ القرّاءُ العشرةُ على قراءة «أَيْمانَهم»: بفتح الهمزة وسكون الياء.

وتوجيهُ هذه القراءة الصحيحة أنّ «أيمانَ» جمعُ يمين. أي: تَسَتَّرَ المنافقون بالأيمان التي كانوا يحلفون بها، وبذلك صَدّوا عن سبيل الله.

وهذا يتناسبُ مع الآيةِ السابقة: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] فقولهم: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يمينٌ من الأيمان التي كانوا يُقسمون بها.

وقرأ الحسنُ البصري: «إيمانَهم» بكسر الهمزة.

و«إيمانَهم»: مصدر «آمن»: تقول: آمَنَ، يؤمن، إيماناً. والإيمان معروف.

وتوجيهُ هذه القراءة الشاذة: اتخذ المنافقون الإيمانَ الذي أظهروه بألسنتهم

---

(١) المرجع السابق، ص٣٢؛ والميسر في القراءات الأربعة عشر للخاروف، ص١٦.

جُنَّةً ووقاية، يقونَ بها دماءهم وأموالَهم[1].

و«إيمانَهم» مفعولٌ به أول منصوب لفعل «اتخذوا».

٥ ـ القراءات التفسيرية:

القراءاتُ التفسيريةُ من مصادرِ التفسيرِ بالمأثور. وتسمّى القراءاتُ التفسيرية عند بعض العلماء «المدرج».

والقراءاتُ التفسيرية هي ما يضيفُه بعضُ الصحابةِ من بعضِ الكلمات، تفسيراً منهم لبعضِ الآيات، وهم يعلمونَ أنها كلماتٌ منهم، وأنها ليستْ من القرآن.

والفرقُ بين القراءاتِ التفسيريةِ المدرَجَة وبين القراءاتِ الشاذة: أن القراءات الشاذة ـ التي تحدَّثْنا عنها في النقطة السابقة ـ هي نطقٌ من بعضِ القرّاء لبعضِ كلماتِ القرآن، بينما القراءاتُ التفسيرية هي كلماتٌ مدرجةٌ ضمنَ الآيات، يضعُها الصحابةُ بينَ كلماتِ الآيات، تفسيراً منهم لها، ويقيناً منهم أنها ليست قرآناً.

وهذه القراءاتُ التفسيرية تُدْرَجُ ضمنَ تفسيرِ الصحابةِ، وتأخذُ سماتِ (تفسير الصحابي) الذي تحدَّثنا عنه قبل قليل، باعتباره أحدَ مصادرِ التفسيرِ بالمأثور.

وهذه القراءاتُ التفسيريةُ لا تؤخَذُ إلاّ إذا صحَّت، وتتضمّنُ هذه القراءاتُ بعضَ الأحكام!

من الأمثلة على القراءات التفسيرية قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

روى البخاريُّ وأبو داود عن ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: كانتْ عُكاظُ ومَجَنَّةُ وذو المجازِ أسواقاً في الجاهلية، فكانوا يتَّجرون فيها، فلما كان الإسلامُ

(١) انظر القراءات الشاذة وتوجيهها، ص٨٨؛ والميسر في القراءات الأربعة عشر، ص٥٥٤.

(١٨)

كأنهم تأثَّموا من ذلك، فسألوا النبيَّ ﷺ؟ فأنزلَ اللهُ الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: في موسم الحج...»[1].

القراءةُ التفسيريةُ هي قول ابن عباس: «في موسم الحج». وهذه الجملةُ بعد الجملةِ القرآنيةِ مباشرة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾، فصارت الجملةُ هكذا: ليس عليكم جناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم في موسم الحج!

أي أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما يرى جواز المتاجرةِ في موسم الحج، بأنْ يُحضرَ الحاجُّ معه بضاعةً ليبيعها، وأنْ يشتريَ الحاجُّ بعضَ السلعِ والبضائع. علماً أنَّ الآية لم تتحدَّث عن ذلك بالنص، وإنما أباحتْ للمؤمن أنْ يبتغيَ الفضلَ من ربه!

ودليلُ ابنِ عباس على ذلك الروايةُ الصحيحةُ التي أوردها في مناسبةِ نزول الآية، فقد كان العربُ في الجاهلية يُتاجرون في موسم الحج، فلما أسلموا تحرَّجوا من ذلك، وخَشُوا أنْ لا يكونَ الأمْرُ مباحاً، فسألوا النبيَّ ﷺ عن حكم المتاجرةِ في موسم الحج! فأنزلَ اللهُ الآيةَ جواباً على سؤالهم، وأباح لهم الابتغاءَ من فضله، وهذا يكونُ في المتاجرةِ في موسم الحج!![2].

ومن الأمثلةِ على ذلك أيضاً قولُه تعالى في كفارة اليمين: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

كفارةُ اليمين إطعامُ عشرة مساكين من أوسطِ طعامِ الذي حنثَ في يمينه، أو كسوتُهم، أو تحريرُ رقبة، فمنْ لم يجدْ ما يطعمُ أو يكسو أو يعتق، فعليه أنْ يصومَ ثلاثةَ أيام: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٢١٥٠؛ وأبو داود برقم: ١٧٣٤.

(٢) انظر تهذيب تفسير الطبري: ١/ ٦٢١ ـ ٦٢٢.

(١٩)

والقراءةُ التفسيرية هي قراءةُ أُبَيِّ بنِ كعب وعبدِ الله بن مسعود رضي الله عنهما، حيث أضافا كلمةَ (متتابعات) بجانبِ الجملةِ القرآنية، تفسيراً منهما لها، فصارت هكذا: فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات.

و(متتابعات) حالٌ لما قبلها (ثلاثة أيام). أي أنَّ أبيَّ بن كعب وابنَ مسعود كانا يريان أنَّ الأيامَ الثلاثةَ يجبُ أن تكونَ متتابعة، وأنه لايجوز فيها التفريق، بينما يرى غيرهم جوازَ التفريق فيها[1].

(متتابعات) قراءة تفسيرية، من باب تفسير الآية، وهي ليست قرآناً!!

* * *

(١) المرجع السابق: ٣/ ٣٠٢ـ٣٠٣.